

الباب الثاني

سيرة الحياة لطارق بن زياد ونشر الخطابة في عصر الأمية

أ. لمحة طارق بن زياد

طارق بن زياد هو قائد جيوش الوليد بن عبد الملك. كان خطيباً مصقعا وبطلا مقداما، بعيد الهمة يعشق المجد وتصبو نفسه إلى الفتوحات. خرج من المغرب سنة 92هـ باثني عشر الف جندي من موطنه إلى الأندلس ومات في السنة 101هـ.²⁶

كان طارق أحمد الموالى الذين كان لهم شأن في الفتوح الإسلامية. ومن عجب أن يختلف المؤرخون وأصحاب السير في نسب قائد فذ وفتح مشهور مثله. فيذكر بعضهم أنه بربري الأصل ينتمي إلى نفاوة من بربر

²⁶ احمد الهاشمي، جواهر الأدب، (بيروت : دار الفكر، دس)، ص. 384.

إفريقية، وهي البلاد التي يطلق عليها اسم تونس الآن. وفي رواية أخرى أنه ينتمي إلى قبيلة زنانة. ويرى بعض آخر أنه من موالى الفرس من مدينة همدان، وقيل إن اسمه طارق بن عمرو وليس طارق بن زياد. ولكن مما لا شك فيه أنه كان مولى لموسى ابن نصير، وأن موسى وثقربه إليه وأمره على بعض الجيوش، وجعله في مقدمة جيشه الذي قاتل به البربر وفتح بلادهم وولاه طنجة كما تقدم. ثم ندبه لفح أسبانيا لأنه توسم فيه صدق العزيمة وقوة الشكيمة وشدة البأس وصلابة العود، فوق ما امتازبه من حسن الكلام وقوة البيان والقدرة على التأثير في قلوب سامعيه، وما اشتهر عنه من الإخلاص في الجهاد. ورجل هذا شأنه وتلك سربرته خير من يضطلع بهذا الأمر الجليل. هذا إلى أن طارقا كان من بربر إفريقية وأن جل جنده كانوا

من البربر، فهو يستطيع إذن أن يصل إلى شغاف قلوبهم، ويؤثر في نفوسهم ويحسن توجيههم، ويأخذ بأيديهم في طريق النصر.²⁷

وكان طارق بن زياد خطيباً مصقعا وبطلا مقداما في كل حرب أو فتح ويدفع جيوشه بخطبته. كما ذكر في السابق أن من فائدة الخطبة هي لدفع أولتشجيع الجيوش في الحرب كما قال مصطفى عناني (... كان لك حرب خطبائه الذين يذودون عنه وينا فحون عن مبادئه).²⁸ ومن خطبة طارق بن زياد المشهورة قد ذكر في السابق (الباب الأول). ومن هذه الوظيفة الكبيرة يكون طارق بن زياد مهما في نشر الإسلام وأفضلها في فتح الأندلس كباب لفتح أوروبا.

²⁷ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام : السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، 1964)، ص. 312 – 313.

²⁸ مصطفى عناني، الفز ومناهب في النشر العربي، (القاهرة : دار الفكر، 1987)، ص. 71.

ب. دور طارق ابن زياد في نشر الإسلام

وقبل أن ندرك عن اشتراك طارق في نشر الإسلام وولايته فعلينا أن نعرف عصر الحكومة حين يكون قاعد الجيوش لفتح الأندلس لكي يكون هذا التاريخ كاملاً.

الكوفت جوليان يتخلف مع حزب أخيراً للتخلص من لذريق لما كان يضمه له من العداة بسبب سوء خلقه أي مسلكه مع ابنه، وتضم إلى المؤتمرين وعول على الا تنقام لنفسه، ووجد في جيوش البربر في شمالي إفريقية خير من يقوم على تحقيق أغراضه وإرواء أحقادهم. زار جوليان موسى بن نصير وأحبره أن الحرب بينهما قد انتهت، وكلمه في غز والأندلس ووصف له حسنها وفضلها، وما جمعت من أشتات المنافع وأنواع المرافق وطيب

المزارع وكثرة الثمار وغزارة المياه وعدوبتها، وهون عليه مع ذلك حال رجالها،

ووصفهم بضعف البأس وقلة الغناء.²⁹

فهمنا أن ذال عصريرأسه حوليان ولكن غلبه لذريق. فيؤدي جوليان

التقاء مع موسى بن نصير وهو في شمالي إفريقية والقصد من جوليان ليضم

معه لا ستعمار لذريق وقبله يصور عن جمال الأندلس ليجذب موسى في

الستعانتة.

فسوق موسى إلى ما هنالك وأخذ بالحزم فيما دعاه إليه جوليان،

فعاقده على الانحراف إلى المسلمين، واستظهر عليه بأن سامه (كلفه)

مكاشفه أهل ملته من الأندلس المشركين والاستخاج إليهم بالدخول إليها

وشن العارة فيها. ففعل يليان ذلك وجمع جمعا من أهل عمله، فدخل بهم

في مركين وحل بساحل الجزيرة الخضراء، فأغار وقتل وسبي وغزا، وأقام بها

²⁹ حسن إبراهيم حسن المرجع السابق، ص. 311.

أياماً. ثم رجع معه سالمين، وشاع الخبر عند المسلمين، فأنسوا ليليان
واطمأنوا إليه، وكان ذلك عقب سنة تسعين الهجرية.

لمير موسى بدا من الرجوع إلى الخليفة الوليد الذي تردد أول الأمر، ثم
أمره أن يرتاد الطريق حتى يتحقق أن جوليان لم يرد التغرير بالمسلمين. فأرسل
طارق بن مالك، وكان من البربر وإليه تنسب جزيرة طارق على المجاز في
سنة 91هـ أو 710م على رأس خمسمائة مقاتل منهم أربعمائة راجل ومائة
فارس جازهم البحر في أربع من سفن جوليان، وغزا بعض ثغور الأندلس
الجنونية بمساعدة جوليان وعاد محملاً بالغنائم، بعد أن اقتنع بانعدام وسائل
الدفاع في أسبانيا.³⁰

³⁰ نفس المرجع، ص. 312.

وقد شجع نجاح طارق في هذه الغزوة موسى بن نصير على فتح أسبانيا، فندب لهذا الأمر الخطير مولاه طريق بن زياد قائد جيشه وحاكم طيجة. وقيل إنه اختاره ليرتاد الطريق كطريف.

ج. إرسال طارق ابن زياد إلى الأندلس

استلاء الإسلام إلى الأندلس قد تخطط في عصر عبد المالك بن مر وان في السنة 675 – 705م وهو الخليفة الثانية لدولة الأموية. ولا استلاء الأندلس فيستلاء أفريقية الشمالية أو مروق ويجعله كبلاد لدولة الأموية وأميره حسن بن نعمان ثم بدله بموسى ابن نصير. ولكن استلاء على الأندلس يسير في عصر الخليفة وليد بن عبد الملك وأمر موسى بن نصير لإستلائه.

ثم في السنة 91هـ / 709م أرسل موسى بن نصير طارق بن زياد

لإستلاء على الأندلس. فعبر طارق البحر بقصد فتح الأندلس.³¹

د. إستلاء على الأندلس

وفي شهر شعبان سنة 92هـ (711م) عبر طارق البحر في أربع سفن أعدهاله جوليان، وسار على رأس سبعة آلاف من المسلمين. وأخذ طارق وهو على رأس سفينته يتأمل عجائب الكون وينظ إلى السماء متوجها إلى الله بقلبه يلتمس منه العون ويذكر الرسول الكريم ومالاقاه في سبيل نشر الدعوة من محن وآلام، إذأخذته سنة من النوم، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم حوله المهاجرون والأنصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي، فيقول له رسول الله : ((يا طارق! تقدم لشأنك، ونظر إليه وإلى

³¹ أحمد أمين، ظهر الإسلام، (بيروت : 1969)، ص. 1.

أصحابه قد دخلوا الأندلس قدامه)). ثم هب طارق من نومه مستبشرا،
وثابت نفسه ببشراه ولم يشك في النصر.³²

الفت السفن مرساهاقباله الجزيرة الخضراء عند صخرة الأسد التي
حملت اسم طارق إلى اليوم فسميت ((جبل طارق)). ولشجع طرق ابن
زياد في استلاء الأعداء يكون كالأسد حتى يريح اسمه في المسلمين كقائد
المشهور. لذكر عنه فسميت الجبال الذي سلكه جبل طارق وهو مشهور
حتى الآن. ونزل المسلمون في مكان يقال له البحيرة جنوبي أسبانيا. وكان
الملك لذريق إذ ذاك مشغولا بثورة أخيلا في بمبولونه شمالي أسبانيا، ولما علم
بنزول العرب في أرض أسبانيا، أدرك ما يحدق ببلاده من خطر، وأغز السير
إلى الجنوب، وجمع جيشا جرارا قيل إنه بلغ سبعين ألفا، وقيل مئة ألف.

³² نفس المرجع، ص. 313.

ولكن هذا الجيش الجرار بكامل العدة والسلاح لميئن عزيمة طارق أو يضعف إيمانه، بل أخذ يفتح القلاع والمدن. وقد قيل إن امرأة عدوزا من أهل الجزيرة الخضراء وقعت في أيدي المسلمين. فلما رأت طارقا قالت " ((إنه كان لها زوج عالم بالحدثان، فكان يحدثهم عن أميريد نخل بلدهم هذا فيتغلب عليه ويصف من نعته أنه ضخم الهامة))، فأنت كذلك. ومنها أن في كتفه الأيسر شامة عليها شعر، فإن كانت فيك فأنت هو، فكشف ثوبه إذا بالشامة في كتفه على ما ذكرت، فاستبشر بذلك ومن معه.

بعث طارق إلى موسى بن نصير يطلب منه للمدد حتى يستطيع الوقوف أمام جيش لذريق، فأمدته بخمسة آلاف، فبغ عدد جنده اثني عشر الفا. وقد ثارت مخاوف المسلمين علموا بدنو جيش لذريق، ولكن طارقا لم يزد إلا حماسة واستبسالا، فقام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه، وألقى عليهم خطبته الخالدة التي حثهم فيها على الجهاد والتذرع بالصبر، ومناهم

الأماني الطيبة، وبشرهم بما سيفتحون من بلاد ويصيبون من غنائم وينعمون
في دنياهم وأخرتهم.³³

وحين يتوجه طارق بن زياد وجيوشه الذين أقل من عدد الأعداء
فتخطر في قلوبهم الخوف ولكن يستطيع أن يدفع جيوشه بخطبته المشهورة
وهاهي بعضها : ((أيها الناس، أين المفر، البحر من ورائكم والعدو
وأمامكم، وليس لكم أضيع من الأيتام في مأدبة اللثام وقد استقبلكم
عدوكم بجيشه، وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزرلكم إلا سيوفكم. ولا
أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم ... إلخ)).

ولما أصبح الصباح أقبل لذريق وهو على سريره محمولا على دابتين،
وعليه مظلة مسكالة بالدر والياقوت والزبرجد، تخف به البنود والأعلام،
وبين يديه جنده الكثيف من العبيد والمستضعفين الذين ينقصهم النظام

³³ نفس المرجع، ص. 314.

والإخلاص. وأقبل طارق في بساطته يخف به أصحابه الذين عمر الإخلاص
قلوبهم، وعليهم الزرد، ومن فوق رؤوسهم العمائم، وبأيديهم القسمى
العربية، وقد امتشقوا السيوف وتقلدوا الرماح.³⁴

التقى طارق بجيش لذريق على مقربة من نهر واي لكّة، ويسميه
العرب أدبيكة، ويصب في المضيق عند رأس الأغر. وأخذ طارق وجنده
يحملون على العد وحتى تم له النصر. ثم هجم طارق على لذريق فضربه
بسيفه فقتله، وقيل إنه جرح، فرمى بنفسه في وادي لكّة فغرق. وحمل النهر
جثته إلى المحيط. ولاتزال نهاية سرا إلى اليوم، وحلت الهزيمة بجنده وتشتت
شملة وتفرق أيدي سبا.³⁵ ومما ساعد على انتصار جيش طارق انحياز أبناء
غيطشة وأنصارهم إلى العرب، وكانوا ينسفون على لذريق اغتصابه العرش
بعد موت أبيهم. فقد ذكر المقرئ أن لذريق كتب إلى أولاد غيطشة يحثهم

³⁴ نفس المرجع، ص. 315.

³⁵ نفس المرجع، ص. 315.

على الانضمام إليه لحرب العرب ويحذروهم من القعود عن نصرته، وقال بعضهم لبعض، ((إن هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطنا وليس من أهله، وإتماما لما كان من أتباعنا فلسنا نعدم من سيرته خبلا في أمرنا. وهؤلاء القوم الطارقون لا حاجة لهم في استيطان بلدنا، وإنما مرادهم أن يمثلوا أيديهم من الغنائم ثم يخرجوا عنا. فهلما فلتهزم بابن الخبيثة إذا نحن لقينا القوم لعلمهم يكفوننا إياه. فإذا انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنا من يستحقه)).³⁶ وقيل لما تقابل الجيشان أجمع أولاد غيطشة على الغدر بلذريق، وأرسلوا إلى طارق يسألونه الأمان على أن يملوا إليه عند اللقاء فيمن يتبعهم، وأن يسلم إليهم إذا ظفروا، ضياع والدهم بالأندلس كلها، وكانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة، وهي التي سميت بعد ذلك صفايا

³⁶ نفس المرجع، ص. 315.

الملوك. كما استطاع جوليان أن يستميل إليه كثيرا من جند لذريق، مما رجع كفة العرب ومزق شم جيش لذريق. وقد قيل إن طارقا ضربه بسيفه وقتله. ومن تاريخ القصير عن شجاعة طارق بن زياد في أنواع الغزوة نفهم أنه يشترك بشارك هامة في اتشار الإسلام في العالم وأفضلها في فتح الإندلس كباب لضم الإسلام على أوروبا.

هـ. الخطابة في عصر الأمية

عصر الأمية هو عصر الثالث من عصور الأدب العرب، يبدأ بقيام دولة بني أموية سنة ٤٠ هـ (اربعين) وانتهى بنهايتها سنة ١٣٢ هـ (مئة واثنين وثلاثين). في هذا العصر ينتشر النشر بالسرعة خصوصا الخطبة. والخطبة امام الجمهور في الأنواع المتنوعة وتوصل القمة في عصر الأموى.

١. أقسام الخطبة في عصر الأموي

أقسام الخطبة في عصر الأموي كما يلي :

أ. الخطبة السياسية : هي خطبة التي يلقيها امام الجماعة لحث

على السياسة. وكان الإسلام يحتاج إلى خطباء لحث المسلمين

على الجهاد في سبيل الله لدعوة الإسلامية.

ب. الخطبة الدينية: هذه الخطبة هي وسيلة لنسر الدعوة

الإسلامية، ودعوة إلى تعالم الدين الجديد، وهذه الخطبة الماثورة

عن الرسول الله والخلفاء الرشدين والولاة لإرشاد المسلمين عن

أحكام الشرعية وأمور الدينهم.

ت. الخطبة الإجتماعية: وهذه الخطبة تستعمل أيضا في ايام الجمع

والعيدين والمواسم الحج.

٢ . أنواع النثر في عصر الأموى

أنواع النثر في عصر الأموى كمايلى:

أ. الخطبة

انتشر الإضطراب والخلافة فى البصرة سنة ٤٥هـ (خمس وأربعين) فى عهد معاوية بن أبى سفيان، فاختار معاوية (زياد أبيه) واليا عليها لما عرف عنه من قوة وقدرة وحكمة. ولما جاء زياد إلى البصرة جمع النماس وألقى عليهم خطبته المشهورة التى تسمى (البترء)، إما لقوتها وشدتها تشبيها لها بالسيف القاطع، وإما أنه لم يبدأها بسم الله وحمده كعادة الخطباء. وقد اثرت هذه الخطبة تأثيرا كبيرا فى أهل البصرة وملأت قلوبهم خوفا و خشية.

ب. الكتابة

الكتابة دليل على حضارة الأمة وريقيها الفكر. وهي فن له أصول وقواعد، فمن أراد أن يكون كاتباً مجيداً فينبغي له أن يتلو القرآن الكريم، وبقراً الحديث الشريف وكتب الأدب والتاريخ، وأن يجود خطه ويصون نفسه عن الرذيلة ويحرص على كل فضيلة.

من أنواع النثر في عصر الأموي السابقة، أرادت الباحثة أن تستنبط هذه الكتابة. عصر الأموي هو عصر الثالث من عصور الأدب العرب، يبدأ بقيام دولة بني أموية سنة ٤٠ هـ (اربعين) وانتهى بنهايتها سنة ١٣٢ هـ (مئة و اثنين وثلاثين). وأنواع النثر في عصر الأموي هو الخطبة و الكتابة. وأما أقسام

الخطبة في عصر الأموي: الخطبة السياسية هي خطبة التي يلقيه
أمام الجماعة لحث على السياسة. والخطبة الدينية: هذه الخطبة
هي وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية. والخطبة الإجتماعية وهذه
تستعمل في أيام الجمع والعيدين والموسم الحج.